دعوة العباد

الى صحيح الاعتقاد

جمعها بعض طلبة العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

{ الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده }

وبعد : فمن المعلوم لدى كل منصف أن اهم ما يجب أن يعلمه العبد هو معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة صفاته بالادلة لأنه بدون ذلك لا يرجى له نجاة ولا يقبل منه عمل فيجب على كل مكلف الاهتمام وبذل الجهد فى تصحيح عقائده ليعرف بذلك من يعبد والى من يتوجه في الشدائد والنوازل . وليعلم كل مسلم ان جميع ما يصيبه من المحن والمصائب والبلايا والشدائد من ضيق الرزق وتسليط الاعداء الى غير ذلك من الخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة كل ذلك سببه

obeikandl.com

واعظ رأيت ان اجمع بعض ما يحضرني من المسائل الاعتقادية في رسالة صغيرة ليطلع عليها المسلمون وليعلموا انهم على خطر عظيم ، ان هم لم يتداركوا امرهم ويصلحوا حالهم وانى لهم ذلك وهم قد شغلتهم الدنيا بزخرفها وازينت لهم ، فهم في بحار الجهل غارقون وعن الصراط السوى ناكبون لا يتدبرون القرآن ولا يرون انفسهم بحاجـــة الى تحقيق مسائل الدين والايمان تراهم جميعاً وقلوبهم شتى قد شغل اكثر علمائهم حب الرياسة والترفع على الناس ، فهم لا ينضبون الا لانفسهم ولا يحافظون الا على مراكزهم واما العامة فقد شغلهم الصفق في الاسواق عن تعلم امور دينهم فهم دائبون في جمع الدرهم والدينار لا يرون السعادة الا بالحصول عليهما فظاهر حالهم يفهم انهم ليسوا بحاجة الى تعلم دين او ايمان او حلال او حرام ، الا من رحم ربك من كلا الفريقين وأياهم قصدنا في جمع هذه الرسالة تذكيراً للعالم وتعليما للجاهل وتنبيهاً للغافل والله سبحانه هو المسؤل ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه وان

يجعل اعمالنا خالصة لوجهه ويختم لنا بالايمان وان لا يجعل ما علمنا علينا وبالا وان يرزقنا العمل به سبحانه وتعالى .

اعلم رحمك الله ان مما يجب اعتقاده على كل مسلم وتمكينه فى قلبه هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى ولا يكفى مجرد التلفظ في ذلك من دون فهم لمعناه وادخاله في قلبه والعمل بمقتضاه لقول النبي ﷺ الايمان ما وقر في الصدر وصدقه العمل اهـ ويتوقف صحة الايمان على ان يعلم العبد ان معنى قوله (آمنت بالله) صدقت بقلبي عن دليل جازم بان لله سبحانه ذاتاً حقيقية جامعة لمعنى الاسماء الحسنى والصفات العلى وهى موجودة خارج العالم وفوق العرش بغير شك ولا شبهة ، وهو سبحانه مباين لجميع مخلوقاته ولا يمكن لاحد مشاهدته ورؤيته في الدنيا ، على خلاف في ان النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج ام لا ؟ . هذا بالنسبة الينا ، واما بالنسبة الى الملائكة فلا نتكلم عليه بنفى او اثبات لعدم ما يدل على

نفي رؤية الملائكة لربهم ولا على اثباتها ، ولا بد مع ذلك من الايمان بان كلمة ، الله ، والرب ، والآله ، والملك ، والرحمن ، والرحيم ، وجميع الاسماء الحسنى اسماء وصفات مختصة بتلك الذات العلية تدل على الذات دلالة قطعية بطريق الحصر مع دلالتها على قيام معانى تلك الصفات بتلك الذات العلية حسبما تقتضيه اللغة العربية ، توضيح ذلك ان لفظ الجلالة. الله . معناه الذات الموجودة فوق العرش الموصوفة بمعانى الاسماء الحسنى والرب معناه الذات المتصفة بالربوبية . والآله . يدل على الذات المقدسة مع دلالته على قيام الالوهية بها ، وهكذا الرحمن والرحيم وجميع الاسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة فان كل واحد من الاسماء الحسنى يدل على ذات الله وصفة خاصة به هي ما يفيده ذلك الاسم على مقتضى اللغة العربية . ولكن صفاته تعالى لا تشبه صفات خلقه كما ان ذاته العلية كذلك فان حقيقة ذاته سبحانه وتعالى مغايرة لحقيقة ذوات خلقه ولا يمكن ان يكون بينهما حلول ولا اتحاد ، ومن جوز ذلك فهو كافر

ملعون باجماع المسلمين ، ولا بد من الايمان بان ذاته تعالى غير مخلوقة وكذا اسمائه وصفاته وجميع شؤونه كلها غير مخلوقة . وتسميته تعالى بالاسماء واتصافه بالصفات متحقق ازلاً وابداً وما عدى ذلك من العرش وما تحته من جميع العوالم والاجسام والارواح وما قام بهم من الصفات والمعـاني والعوارض والافعال ، وكذا الانبياء والملائكة جميع ذلك مخلوق كائن بعد العدم وقابل للفناء ومفتقر الى الله تعالى في ايجاده وابقاءه وتدبير اموره في كل لمحة ونفس . ويلزم على المكلف ان يعترف بقلبه ويقر بلسانه بان معنى (اشهد ان لا اله الا الله) اتيقن بقلبي واجزم بان لا احد من الاحياء والاموات ومما كان ومما يكون يستحق التضرع والتذلل والاستغاثة والسوال فيما لا يقدر عليه المخلوق والمحبة الذاتية والتعظيم الذاتي والتوبة والانابة والتوكل والاعتماد والخوف والرجاء لا يستحق شيئاً من ذلك الا تلك الذات العلية الموجودة قطعاً خارج العالم والمستوية على العرش استواء يليق بجلال الله سبحانه وتعالى

كما اخبرنا بذلك في سبع آيات من القرآن العظيم منها قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى . فانها تدل دلالة قطعية على ما ذكرناه كما انها تدل ايضاً على وجود العرش الذي هو سقف الجنة كما اخبر النبي ﷺ بذلك فى حديث البخاري . ويجب التصديق بان الله سبحانه يحب عباده المتقين وله وصف المحبة والمغفرة ، والرحمة . كما اخبر بقوله تعالى وهو الغفور الودود وله ايضاً وصف الرضى والغضب كما تدل عليه آيات كثيرة من القرآن وقد افاد حديث الشفاعة الذي رواه البخاري ان الانبياء يقولون فى الحشر عند طلب اهل الموقف منهم الشفاعة ان ربي قد غضب اليوم غضباً لن يغضب قبله مثله ابداً ولن يغضب مثله بعده ابداً ، وله تعالى صفة الكلام كما دل الكتاب والسنة على انه تعالى موصوف بكلام ازلي ويتكلم كلاماً حقيقياً مسموعاً متى شاء وكيف شاء وكذلك يقال انه تعالى يرحم من شاء متى شاء ويرضى كذلك ويغضب كذلك ويعطى كذلك ويمنع كذلك ويغفر كذلك وينتقم كذلك ويهدي كذلك

ويظل كذلك. وانه لا يغفر ان اشرك به ومات على ذلك كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ولا بد من الايمان بانه سبحانه اوجد العالم بقوله . كن عند ارادته خلقه له لا من الازل وهكذا جميع ما يخلقه في المستقبل لا بد وان يقول له كن فيكون كما قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا القول ليس كناية عن سرعة الايجاد بل يجب الجزم بكونه كلاما حقيقيا مع القطع ببطلان قول من يقول كناية عن سرعة الايجاد . ولو سلم هذا القول لما صحت رسالة ولا ايمان ولا قرآن فان هذا القول مبني على انكار ان يكون الرب تعالى متكلماً بكلام مسموع وملفوظ بحرف وصوت لائقين بذاته من غير جنس كلام المخلوق وصوته وهذا قول عظيم وامر فظيع استنكره سلف الامة وسائر الائمة لانه يهدم الدين من اساسه وينقضه من اصله . وهو مذهب المعتزلة بعينه فلذلك قلنا ان الايمان لا يتفق مع احتمال صحته لانه يلزم منه تكذيب آيات كثيرة

مثل قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما . وقوله فأجره حتى يسمع كلام الله . الى غير ذلك من الآيات والاحاديث ويلزم مثل هذا ايضا على قول من يقول ان القرآن حكاية او عبارة عن المعنى النفسي (الذي ابتدعه سعيد ابن كلاب) ورد عليه السلف وخالفوه فى قوله منهم الاشعري في كتابه (الأبانه) الذي قد اعترف كثير من علماء الشافعية بانه كتابه على الحقيقة ويلزم من ذلك ان جميع ما صرح فيه من العقائد هي التي اعتمدها ورفض ما يخالفها مما ينسبه اليه المقلدون من تأويلات المعتزلة في آيات الصفات وهو برىء منها وبالحقيقة ان هؤلاء المقلدين الذين يعتقدون خلاف عقائده المذكورة في كتابه (الابانة) تابعون لعقائد المعتزلة وليسوا اتباعا للاشعري وان حسبوا انفسهم اشعرية اذ العبرة بالحقائق لا بالانتساب الكاذبة . فهذا ابن السبكي من العلماء المعتبرين في مذهب الشافعي قد اعترف بكتاب (تبيين كذب المفتري) الذي فيه التصريح بان عقيدة الاشعري الصحيحة هي المذكورة في كتابه

(الابانة) وقد تضمن اعتراف ابن السبكي به اعترافه بكتاب الابانة ، حيث قال في الجلد الاول من طبقات الشافعية ص ٢٤٨ ما نصه ومن اراد معرفة قدره (اي قدر الامام الاشعري) وان يتلى قلبه من حبه فعليه بكتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الاشعري ، الذي صنفه الحافظ ابن عساكر وهو من اجل الكتب واعظمها فائدة واحسنها يقال كل سني لا يكون عنده كتاب التبيين لابن عساكر فليس من امر نفسه على بصيرة ويقال لا يكون الفقيه شافعياً على الحقيقة حتى يحصل كتاب التبيين لابن عساكر وكان مشايخنا يأمرون الطلبة بالنظر فيه اه وقد حكى لنا ابن عساكر في كتابه التبيين جملة من عقيدة الاشعري حيث قال في ص ١٥٢ من كتابه المذكور مانصه: فلابد أن نحكي عنه (اي عن الاشعري) معتقده على وجه الامانة ونجتنب ان نزيد فيه او ننقص منه تركا للخيانة ليعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في اصول الديانة فاسمع ما ذكره في اول كتابه المسمى

بالابانة فانه قال . الحمد لله الاحد الواحد العزيز الماجد المتفرد بالتوحيد ، فذكر جملة من عقيدته الى ان قال في ص ١٥٧ ما نصه : قد انكرتم قول المعتزلة والجهمية فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه احمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته واجزل مثوبته قائلون . فذكر خلاصة عقيدته المطابقة للكتاب والسنة والموافقة لنص عبارة الابانة وذكر من جملتها قوله . وان الله استوى على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان له يداً كما قال بل يداه مبسوطتان الى قوله . ونقول ان كلام الله غير مخلوق وانه لم يخلق شيئاً الا قال له كن فيكون ثم ذكر ادلته على ابطال تأويل المعتزلة الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة والوجه بالذات وانكر عليهم قولهم ان القرآن

مخلوق واقام الادلة القاطعة على بطلان قولهم وصحة قوله . ان القرآن غير مخلوق ، وبما ذكرناه من عبارة ابن السبكى وابن عساكر يتحقق ان عقيدتنا التى ذكرناها والتي سنذكرها هي عقيدة الامام الاشعري بعينها فمن حدثته نفسه بالرد علينا من المنتسبين الى الاشعرى فليعلم ان رده هذا يكون اولا وبالذات رداً على امامه ثم يحصل الرد له علينا بالتبع لانا تابعون له في هذا الاعتقاد الذي هو اعتقاد السلف الصالح ومبرؤن له من كل ما يخالف ذلك من معتقدات المعتزلة والجهمية المنسوبة اليه زوراً وبهتاناً وبالله تعالى التوفيق .

(فصل)

ويجب على المكلف ان يصدق بقلبه بان للعبد فعل وقدرة واختيار ومشيئة ولكن جميع ذلك مع ذات العبد وروحه مخلوق وموقوف على مشيئة الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى والله خلقكم وما تعملون وقال: وما تشاؤن الا ان يشاء الله: ورعاية هذه العقيدة والعمل بها فرض على كل مسلم . ولا يكفى

مجرد القول بها باللسان فانه اذا كان القلب والفعل مخالفين لها يكون ذلك من علامات النفاق وقد قال تعالى: ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار . ويلزم كل احد ان يعتقد بانه تعالى سيفني المخلوقات كلها ويبدل السموات والارض بغيرهما ويخرج سبحانه الاموات من قبورهم احياء باجسادهم كما كانوا في الدنيا ويحشرهم اليه تعالى كذلك للحساب فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بسيئاته: والمحسن من اهتدى بهدى نبيه ﷺ والمسيء من عصاه واقتدى بغيره. قال تعالى : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية . وكذلك يجب ان نعتقد بان الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن وان الشمس تدنو من رؤس اهل الموقف قدر ميل فتشتد الحرارة عليهم فيعرقون عرقاً شديدا ويذوقون شدة الاهوال كل على قدر عمله . الا من ورد الحديث بانه يكون من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فهؤلاء يستظلون تحت العرش فلا يصيبهم شيء من هول الموقف والباقون منهم من يأخذه العرق

الى كعوبهم ومنهم من يلجمهم ومن شدة الاهوال في ذلك اليوم يفزع الخلائق الى الانبياء ويطلبون منهم الشفاعة: وكل واحد منهم يمتنع منها ويحيلها الى غيره ويقول نفسي نفسي الا نبياً محمداً ﷺ فانه يذهب ويخر ساجداً لله تعالى تحت العرش فيأذن له ربه بالشفاعة لفصل الحساب ، وهذا هو المقام المحمود) ثم يشفع ﷺ غير هذه الشفاعة هو والملائكة والمؤمنون في اخراج من دخل النار من امته الموحدين بعد ان يأذن الله لهم بذلك ويرضى . ويؤتى يومئذ بجهنم تقاد بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك تطير منها قلوب الخلائق فزعاً ثم يمرون على الصراط بعد الحساب ويبقى الاغنياء والنساء في شدة الحساب الا الاتقياء منهم (وهم الذين ينفقون اموالهم في السراء والضراء وفي جميع وجوه الخير كما دل عليه قول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه ، هم الاخسرون ورب الكعبة يشير بذلك الى الاغنياء . ثم قال ﷺ الا من قال بالمال هكذا وهكذا . يشير بذلك الى انه لا ينجو احد من الاغنياء في

ذلك اليوم من الخسران الا من داوم على الانفاق في جميع انواع البر التي ندبه الشرع الى الانفاق فيها وذلك كالانفاق على الفقراء والمساكين والجيران والاقارب وعلى نشر العلم الى غير ذلك من وجوه البر) فيسئلون جميعاً عن اموالهم من اين اكتسبوها وفيما انفقوها وتدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام (والمراد الفقراء الصابرون المتقون) وكذلك يسئل كل احد عن جسده فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به وعن جميع لذائذه حتى المباحات كالاكل والشرب والنكاح . والمراد يسئلون عن شكر نعم الله عليهم فى المباحات كما انهم يسئلون عن كل كلمة تكلموا بها وعقيدة كانوا اعتقدوها او رضوا بها اولم ينكروها تقليداً لاباءهم ومصداق ذلك قوله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم .

وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وكذلك يازم الايمان بان علينا كراما كاتبين يكتبون علينا جميع اقوالنا وافعالنا وهم من الملائكة (والملائكة اجسام خلقهم الله من نور بالنون في الكثرة عددا لا يعلمه الا الله فمن اعتقدانهم قوى كقوى الكهرباء كفر لتكذيب الله تعالى وصفه لهم بأن لهم اجنحة وانهم يحملون العرش وأن الله سبحانه يمد المجاهدين بمدد منهم وانهم يجيؤون مع الله يوم القيامة وانهم ينزلون بأوامر الله وانهم يرفعون اليه اعمال العباد الى غير ذلك من الاوصاف التى لا يمكن الاقرار بها مع الاعتقاد بانهم قوى كقوى الكهرباء قال تعالى في وصفهم اولى اجنحة مثني وثلاث ورباع . الذين يحملون العرش . يمدكم ربكم بخمسة الآف من الملائكة مردفين . فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم . ينزل الملائكة بالروح من امره : الى غير ذلك من الايات البالغة نحو مائة آية وكلها تدل على انهم اجسام ولهم

اشكل شهوة واعمها إسو كتوى الكبرياء)ويجب التصديق
بان الصراط جسم ممدود على ظهر جهنم له كلاليب كمثال
الجبال تخطف المذنبين وتلقيهم فى جهنم وبعضهم يبقى معلقا
بها والبعض يخلصون منها والناجون يتفاوتون في المرور عليه
بين مسرع وبطئ ويعطى بعضهم نوراً على قدر ايمانه فاذا
اضاء له مشى واذا اظلم وقف وبعضهم يمر عليه كالبرق الخاطف
ولا بد من الايمان بان طائفة من هذه الامة يدخلون النار
لتطهيرهم من الذنوب مثل حب الدنيا وحب الجاه وحب
الرياسة والاعراض عن دراسة كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ)
وتعظيم الدنيا في اعينهم والسعي في مرضاة النفوس الى غير
ذلك من كبائر الذنوب التى لا ينجوا احد من خطرها الا
بالتوبة النصوح المستوفية لشروطها قال تعالى وانى لغفار لمن
تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ويفترض على المكلف
تحقيق الايمان بقلبه وذلك بان يصدق الله سبحانه بان واحد
لا شريك له في ملكه ولا وزير ولا مشير ولا شفيع الا من

بعد اذنه ورضاه عن المشفوع له ولذلك قال تعالى : قل لله الشفاعة جميعاً وبأنه سبحانه هو المتصرف في العالم العلوى والسفلى بغير واسطة احد من خلقه وبانه سبحانه لا والد له ولا ولد ولا زوجة وليس له كفواً احد ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والنسيان ولا يجوز عليه الأكل والشرب ولا يلحقه الخوف والهم والحزن والندم ولا يحل في شيء من مخلوقاته كما لا يحل فى ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه والخلق بائنون عنه وانه مبرؤ من كل عيب ومنزه من كل نقص وهو العلى فوق كل شيء وليس فوقه شيء البتة وهو القادر على كل شيء فعال لما يريد عالم بكل شيء يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس الا ويعلمه الله سبحانه على اتم وجه واكمله ولا يتحرك ساكن ولا يسكن متحرك الا بعلمه وخلقه وتصرفه . وهو سبحانه سميع بسمع بصير ببصر يسمع دبيب النملة

السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويراها ويسمع ويعلم ضجيج الاصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات قد احاط سمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات وعلمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع المقدورات وقد نفذت قدرته بجميع البريات وعمت رحمته جميع المخلوقات وهو الشاهد الذي لا يغيب ولا يستخلف احداً على ملكه من العبيد ولا يحتاج الى من يرفع اليه حوائج عباده ويستعطفه عليهم ولا الى من يسترحمه لهم وانه الابدي الباقي الذي لا يزول ولا يضمحل ولا يموت وانه المتكلم بالقرآن وغيره من الكتب السماوية وانه سبحانه وتعالى قادر على التكلم فى كل وقت وفي كل زمان وسيتكلم مع عباده كما اخبر به فى كتابه فهو المتكلم الآمر الناهي قائل الحق وهادي السبيل مرسل الرسل ومنزل الكتب قائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر وانه سبحانه قد حرم الجنة على الكافرين والمشركين وجعل الطاعة سبباً لرحمته وجنته وجعل المعصية سببا لغضبه ولعنته وطريقا الى عذاب

جهنم وانه سبحانه قد تفضل على سبعين الفاً من هذه الامة يدخلوهم الجنة بغير حساب ، وانه تعالى قد حرم الظلم على نفسه فلا يظلم ربك احداً مع قدرته على الظلم وتصوره في حقه كما دل عليه الكتاب والسنة وانه سبحانه لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم كما جاء في الحديث الصحيح . ولا يستغني احد عن رحمته وان عبد الله حق عبادته وذلك لان العبد لا يتمكن من القيام بكمال شكره على نعمه ، لذلك قال النبي ﷺ ان يدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته مع ان العمل لابد منه لقوله تعالى تلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وبهذا يظهر ان الاعتماد على رحمة الله مع ترك الاعمال جهل وغرور وقلب لمقاصد الشرع ومآل ذلك رفض الشريعة الاسلام وعكس لما اخبر الله به من انه لا ينال رحمته الا المتقون قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون

فاين هذا من مثل قول هؤلاء الجهال وفعلهم يتركون الاوامر ويرتكبون المناهي ويرجون رحمة الله . وقد تعالى حاكيا عن المشركين احتجاجهم بمثل قولهم لو شاء الله ما اشركنا وقد رد احتجاجهم هذا بقوله سبحانه وتعالى كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون . ولكن مما يؤسف له اننا نرى قسما من المسلمين قد اتبعوا سنن من قبلهم شبراً بشبر وذراعا بذراع لانك اذا امرتهم بصلاة او صيام او اي طاعة من الطاعات وبينت لهم تقصيرهم اجابوك بجواب هو جواب المشركين بعينه وقالوا لو شاء الله لفعلنا وكذلك اذا بينت لهم خطئهم في بعض الامور واقمت على ذلك الادلة القاطعة قالوا كما قال سلفهم الاولون انا وجدنا ابائنا على امة وانا على آثارهم مهتدون . يخادعون الله وانفسهم بذلك حتى اصبحوا العوبة بيد الشيطان واضحوكة للانس والجان فليحذر من مثل هذا كل الحذر من كان يرجو الله واليوم

الآخر قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم . ويجب على كل مكلف ان يعتقد بان الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى وان جميع نطقه فيما حدث به من امور الديانة انما هو وحي من الله وبان احاديث الصحيحين وكل ما صح عنه ﷺ يفيد العلم اليقيني ويفترض على العباد العمل بمقتضاه لانها وان كانت خبر واحد الا ان الله قد تكفل بحفظها قال تعالى. انا نحن نزلنا الذكرى وانا له لحافظون. وقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحي . ومن لازم من اعتقد كمال الاعتقاد بما ذكرناه اقباله على كتاب الله وسنة رسوله والدار الآخرة وان لا يجعل همه الدنيا ولا يهمك بها ويحلل الحلال ويحرم الحرام ويلزم الوفا بالعهود والمواثيق التي عاهد الله على الوفاء بها ولا يمكنه خلاف ذلك فضلا عن ان يقدم قول احد من الخلق على قول الله ورسوله ﷺ ايا كان ويجب ايضا تحقيق الايمان بالقلب بان لا اصدق من الله قيلا ، فيما اخبر به في كتابه وعلى لسان

رسوله ﷺ وان جميع ذلك حق وصدق مطابق للواقع وذلك وان كان معلوما فانه لا يكفي مجرد المعرفة بذلك لان الايمان المطلوب منا تحقيقه محله القلب وهو غير المعرفة المجردة عن الايمان على ما بينه الشاطبي في الموافقات لذلك نقول بانه لا يصح ايمان من يعتقد ان الادلة اللفظية لا تفيد اليقين. بل لا بد لصحة الايمان والفوز بالجنان من القطع الجازم بان جميع الادلة اللفظية تفيد اليقين . وان ما يسمونه ادلة عقلية جازمة فانما هي جهليات وتمويهات على المقلدين الجامدين الذين قد فسدت عقولهم بآراء افلاطون وارسطو لذلك تراهم ينفرون من الاحتجاج بالكتاب والسنة ويعارضونهما باقوال هؤلاء الفلاسفة الكفرة واتباعهم ممن لف لفهم وسلك طريقتهم من المتأخرين (فاللهم اشهد علينا اننا نبرؤ اليك من علومهم وممن يرتضي طريقتهم ويهتدي بهديهم) فليعلم كل مسلم انه يجب عليه الايمان بان معاني الفاظ القرآن والحديث الصحيح تفيد العلم وانها ليست صوراً ذهنية بل حقائق خارجية ومن اعتقد خلاف

هذا فقد جعل معاني القرآن والحديث عدما محضا . ولا بد من الايمان بان الايمان من الافعال الاختيارية لا الاضطرارية ومن قال ان الايمان من قبيل الكيفيات النفسانية فقوله باطل مردود فليحذر المسلمون من ذلك وبالاخص طلبة العلم فان فيه اهلاك ولا يقبل منه مع ذلك الاعتقاد بالايمان وعلينا التصديق بانه تعالى صمد بجميع معاني الصمدية (والصمد هو السيد الكامل المقصود بالحوائج بغير واسطة احد من خلقه) ويمتنع عليه ما ينافض صمديته من جواز التشفع والتوسط بغير اذنه ومما ينافض صمديته اعتقاد تجويزه تعالى طلب الحوائج التي لا يقدر عليها غيره من بعض خلقه لان في ذلك تشريك خلقه في صمديته وعبادته ومحبته وتعظيمه والخضوع له والاعتماد عليه ورؤية النعم منه (اي من ذلك المتوسط) واستحقاقه للشكر بل الفضل كله بالحقيقة يكون لذلك الشفيع فانه لولاه لم يكن الله (في زعم الجاهل) ليرحمه او ليعطيه مطلوبه ومن المعلوم بضرورة الدين ان تلك الامور التي استحقها الشفيع او المتوسط مثل المحبة

الذاتية والتعظيم الذاتي هما اصل العبادة وفي جواز صرفها لغير الله تكذيب لآيات كثيرة يفهم منها اختصاص العبادة بالله وحده وفي ذلك ايضا ابطال للحصر المستفاد من قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) وغصب لصفة الصمدية من رب العالمين واعطائها لعبيده المخلوقين وكفى بذلك جراءة على الله ومنافاة لقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه. ونقضا لما عاهد عليه العبد ربه من قوله (اياك نعبد واياك نستعين) فان حاصل معنى هذا العهد الاقرار والاعتراف بانه لا يستحق العبادة والاستعانة احد غير الله تعالى ويتضمن مع ذلك اعطاء العبد لربه عهدا وميثاقا بانه لا يعبد غيره ولا يستعين بسواه ولا يخضع ولا يحب الا الله تعالى ولا يطلب ما لا يقدر عليه المخلوق الا من الله تعالى بل يخصص جميع ذلك به سبحانه وتعالى وذلك كله مقتضى قول العبد (اياك نعبد واياك نستعين) وليعلم انه لا يكفي مجرد الاعتراف باللسان بهذه المعاني والعقائد بل لابد مع ذلك من تحقق تلك المعاني في القلب بعد ازالة اضدادها منه ليكون

ذلك الاعتراف وسيلة الى تزكية النفس من محبة المخلوق محبة ذاتية ومن الخضوع له لذاته حتى يمكن بواسطة تزكية القلب استقرار الايمان فيه ومحبة الرحمن والرغبة فى الدار الآخرة ونحو ذلك من اعمال القلب الواجبة لصلاح البدن والجوارح فانه بذلك يصلح للعبد دخول الجنة والنجاة من النار . واما الدعاوي الكاذبة والانتسابات الباطلة والمحبة الزائفة فانها لا تزن عند الله شيئا بل تكون وبالا على صاحبها ويحشر بسببها فى زمرة المنافقين فان الله سبحانه وتعالى لا ينظر الى صورنا واجسامنا بل ينظر الى قلوبنا وعليها يكون الحساب وعلامة المحبة الصادقة هى اتباع الرسول ﷺ وتحمل الاذى في سبيل الدعوة اليه قال تعالى (والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقال تعالى آمراً لرسوله ﷺ ان يبين لنا ما هي اسباب المحبة فقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية) فيستفاد من هذه الآية ان كل من اهتدى بغير هديه ﷺ

او تمسك بغير سنته او رجح قول احد على قوله فليس من المحبين لله تعالى ولا تتحقق محبته تعالى الا باتباع الكتاب والسنة ورفض ما يخالفهما ، ويلزم ايضاً اعتقاد انه تعالى قدوس سلام مبرؤ من كل عيب ونقص وشريك وواسطة وخليفة (اعني المسمى بالقطب ، فان الاعتقاد بوجود القطب مخالف لدين الاسلام ولا يمكن ان يحتمل وجوده الصحة بوجه) ولما كان اكثر الناس يجهلون معنى القطب ولا يعلمون ان الاقرار بوجوده مبطل للشهادتين ومناقض لدين الاسلام رأينا ان نبين حقيقته عند القائلين به ليحذر المسلمون من ذلك فنقول .

(فصل)

قال الجرجاني في تعريفاته (ص ١٧٨) ما نصه القطب وهو الغوث ، عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان وهو على قلب اسرافيل انتهى .

قال في منهاج السنة (ج ١ ص ٣٢) عند الكلام على القطب ما نصه ـ ومنهم من ينسب الى احد هؤلاء ما لا تجوز

نسبته الى احد من البشر مثل دعوى بعضهم ان الغوث او القطب هو الذي بيد اهل الارض فى هدايهم ونصرهم ورزقهم وان هذا لا يصل الى احد الا بواسطة نزوله على ذلك الشخص (القطب) وكذلك ما يدعيه بعضهم ان الواحد من هؤلاء يعلم كل ولي لله كان او يكون اسمه واسم ابيه ومنزلته عند الله ونحو ذلك من المقالات الباطلة التي تتضمن ان الواحد من البشر يشارك الله فى بعض خصائصه مثل انه في كل شيء عليم او انه على كل شيء قدير ونحو ذلك كما يقول في النبي ﷺ وفي شيوخه ان علم احدهم ينطبق على علم الله وقدرته منطبقة على قدرة الله فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه فهذه المقالات وما يشبهها من جنس اقوال النصارى والغالية في علي وهي باطلة باجماع المسلمين. اهـ وقال في كتاب الانسان الكامل صحيفة ٤٤ سطر ٥ ان الحق اذا تجلى على عبده وافناه عن نفسه قامت فيه لطيفة ألهية فتلك اللطيفة قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية فاذا كانت ذاتية كان

ذلك الهيكل الانساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع عليه يدور امر الوجود وله يكون الركوع والسجود وبه يحفظ الله العالم وهو المعبر عنه بالمهدي والخاتم وهو الخليفة . واشار اليه في قصة ادم. تنجذب حقائق الوجودات الى امتثال امره انجذاب الحديد الى حجر المغناطيس. ويقهر الكون بعظمته. ويفعل ما يشأ بقدرته. فلا يحجب عنه شيء. الى قوله فاعطى (اي الغوث) المذكور كل شيء خلقه ثم هدى اهـ

وقال الحافظ المقدسي في تذكرة الموضوعات ص ١٠٨ بعد ان ذكر حديث (لا يزال اربعون يحفظ الله بهم الارض كلما مات واحد ابدل) فيه محمد ابن عبد الرحمن البيلماني ليس بشيء. قال في الحاشية قلت قال السيوطي تبعا للشيرازي في باب الابدال الثلاثمائة. والاربعين. والسبعة. والثلاثة. والقطب . واشباه ذلك لا يصح من ذلك عن رسول الله ﷺ. شيء اهـ

وذكروا لهذا القطب علامات واوصاف يعرف بها. منها ما ذكره صاحب اليواقيت والجواهر (ج ٢ ص ٧٠) حاكيا عن

الشاذلي قوله ان للقطب خمسة عشر علامة. فذكر منها ان يمد بمدد العصمة . والرحمة . والخلافة . والنيابة . ومدد حملة العرش العظيم. ويكشف له عن حقيقة الذات (يعني ذات الله تعالى) قال ومنها احاطة الصفات (يعني انه يتصف بجميع صفات الله) ثم قال الشعراني بعد ذلك قال في الفتوحات في الباب (٢٧٠) ان اسم القطب في كل زمان عبد الله. وعبد الجامع المنعوت بالخلق والتحقق بمعاني جميع الاسماء الألهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدس ومحل المظاهر الألهية وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور. الى ان قال ومن مقام القطب ان يلقى انفاسه اذا دخلت واذا خرجت لانها رسل الله اليه فترجع منه الى ربها شاكرة له قلت (قد اجمع المسلمون على ان من ادعى رسولا بعد محمد ﷺ فهو كافر لتكذيبه لقوله تعالى (وخاتم النبيين) وقوله ﷺ لا نبي بعدي فكيف لا يكفر من اثبت رسلا لا تحصى من انفاس القطب المعدوم المعين بضرورة الدين) ثم قال ومن شأن

القطب الوقوف دائما خلف الحجاب فهو كالحاجب الذي ينفذ اوامر الملك قلت (وكأنهم شبهوا الله تعالى بملوك الدنيا و نصبوا له بوابا او حاجباً ينفذ له اوامره تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً) ثم قال وليس له (اي القطب) من الله تعالى الا صفة الخطاب قلت (وناقض الشعراني نفسه في هذا المقال حيث قال في الكتاب المذكور (ص ٨٠) في تمثيل من يخرج عن الشرع ما نصه كأن زعم احدهم ان الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام فان ذلك يبطل اختصاص موسى واصطفاءه على الناس بالكلام) ثم قال (في ص ٧٠ منه) اعلم ان الحق لا يولي قط عبدا مرتبة القطابة الا وينصب له سريراً في حضرة المثال يقعد عليه فلا بد ان يخلع عليه جميع الاسماء التي يطلبها العالم واعلم ان اول من يدخل عليه (اي المبايعة له) الملأ الأعلى ثم ناقض قوله هذا . بقوله واول من يبايعه العقل الاول قلت (والقول بوجود العقل الاول هو دين الفلاسفة) قال ثم النفس ثم المقربون من عمار السموات والارض من الملائكة

ثم الارواح المدبرة لابيا كل قلت (والقول بان لابيا كل ارواحا تدبرها هو شعبة من دين الصابئة) قال ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما سبح الله من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه الى قوله (ص ٧٢) لا يخلو زمان واحد من قطب يكون فيه كما هو فى الرسل ولذلك ابقى الله من الرسل الاحياء باجسادهم فى الدنيا اربعة. ثلاثة مشرعون. وهم ادريس والياس وعيسى. وواحد حامل للعلم اللدني وهو الخضر، فلا يخلو زمان من رسول يكون فيه قلت (وفي هذا تكذيب صريح لله تعالى حيث قال في حق عيسى عليه السلام بل رفعه الله اليه وفى حق نبينا ﷺ وخاتم النبيين واما ما ادعاه من حياة الخضر فدعوى باطلة ومردودة على قائلها. وقد حقق العلماء هذه المسألة واثبتوا وفاة الخضر كما انهم اثبتوا له النبوة او الرسالة على خلاف في ذلك وعليه فكل ما جرى بينه وبين موسى عليه السلام كان بوحي من عند الله تعالى لقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما. فاسمع لما ننقله لك من اقوالهم المعززة بالادلة الصحيحة الصريحة في ذلك نقول

قال ابن كثير في تاريخه ج ١ ص ٢٩٩ وقوله تعالى رحمة من ربك دليل على انه (اي الخضر) كان نبيا وانه ما فعل شيئا من تلقاء نفسه بل بامر ربه فهو نبي اه قال الحافظ العسقلاني في كتابه المسمى الزهر النضر في نبأ الخضر . المطبوع ضمن الرسائل المنيرية ج٢ص٢٣٤ واقوى الادلة على عدم بقائه. عدم مجيئه الى رسول الله ﷺ وانفراده بالتعمير من بين اهل الاعصار المتقدمة بغير دليل شرعي. والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته. وقال في ص ١٩٨ منه ما نصه وكان بعض اكابر العلماء يقول اول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبيا لان الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي الى ان الولي افضل من النبي كما قال قائلهم مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي وقال ابن كثير في تاريخه، فاخذ الله ميثاق كل نبي على ان يؤمن بمن يجيء بعده من الانبياء وينصره ولو كان الخضر حيا في زمانه لما وسعه الا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره ولكان من جملة من تحت لوائه يوم بدر كما كان تحتها جبريل وسادات

من الملائكة وقصارى الخضر عليه السلام ان يكون نبياً وهو الحق او رسولا كما قيل او ملكا فيما ذكر وايا ما كان فجبريل رئيس الملائكة وموسى اشرف من الخضر ولو كان حيا لوجب عليه الايمان بمحمد ونصرته. فكيف ان كان وليا فاولى ان يدخل في عموم البعثة. ولم ينقل في حديث حسن بل ولا ضعيف. انه جاء الى رسول الله ﷺ ولا اجتمع به وما ذكر من حديث التعزية فاسناده ضعيف اهـ ثم قال في اليواقيت ومن هذا القطب يتفرع جميع الامداد الآتية على العالم العلوي والسفلي فالقطب هو الواحد من عيسى . وادريس . والياس. والخضر . فبالواحد يحفظ الله الايمان وبالثاني يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة. وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيف . ولكل واحد من هؤلاء الاربعة من هذه الامة في كل زمان شخص على قلبه نائبا عنه. الى ان قال : اعلم ان للقطابة ستة عشر عالما احاطيا . الدنيا والآخرة عالم من هذه العوالم . ثم ذكر عدد الاقطاب باسمائهم

من لدن آدم الى محمد ﷺ وانهم خمسة وعشرين قطبا . الى قوله . واما القطب الواحد المدد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب فهو . روح محمد . قال واعلم ان لكل بلد قطب غير الغوث به يحفظ الله تلك الجهة . وكذلك القول في الزهاد وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب . يكون مدارهم عليه . الى قوله . اعلم ان بالقطب تحفظ دائرة الوجود كله . لانه هو الذي يدور عليه الكون كله اهـ . باختصار واذا اردت زيادة الاطلاع فارجع الى كتاب : اليواقيت من ص ٧٠-٧٣ فانك ترى العجب العجاب من وصفهم لهذا القطب وصفا لا يكاد يتفق ودين الاسلام. ولا يمكن ان يتصوره عاقل في حق مخلوق ايا كان. لانها اوصاف لله تعالى خاصة به . غصبها هؤلاء الظلمة والحدوا بها ونسبوها الى القطب (لمتوهم) زورا وبهتانا . واني لاعجب من سكوت العلماء عن بيان هذه المنكرات ورضاهم بنسبتها الى دين الاسلام. الا قليلا منهم. وهم لا يتمكنون من رفع صوتهم بالانكار . لقلتهم وغلبة المتعصبين الجامدين الذين لا يهمهم الا

المحافظة على تقاليدهم التي ورثوها عن اسلافهم ولو كانت مخالفة للقرآن ومجافية للايمان لذلك تراهم لا كبارها عليهم يقومون ويقعدون ويرعدون ويزبدون . وهم بذلك يحسبون انهم يحسنون صنعا . ولا يسعني والحالة هذه الا ان اتمثل بما ذكره الشعراني في طبقاته ص ١٢٨ قال :

ليبكي معي على الدين البواكي فقد اضحت مواطنه قفار
وقد هدت قواعده اعتداء وزال بذاكوا عنه الوقار
واصبح لا تقام له حدود وامسى لا تبين له شعار
وعاد كما بدى فينا غريبا هنالك ماله في الخلق جار
فقد نقضوا عهوده واجهارا واسرفوا في العداوة ثم ساروا

اه وتفصيل هذا البحث يستدعي وقتا طويلا . ولا تسع مثله هذه العجالة . فلنؤجل البحث فيه الى فرصة اخرى . ولدينا نقول كثيرة من اقوال العلماء تؤيد ما ذكرناه من ان الاقرار بوجود القطب مناف للدين الاسلام . اعرضنا عن ذكرها خشية الاطالة واكتفينا بما يفهم الناظر مما ذكرناه هنا من التقولات

ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ويجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق. فقل هذا لا تنفع معه كثرة المقولات ولا الادلاء بالبراهين والبينات لانه قد صمم وعزم على اتباع هواه. فهو لا يتعظ بوعظ واعظ ولا ينزجر اذا زجره زاجر ، ونحن ليس علينا الا البلاغ . والهداية بيد الله تعالى ، هذا ما اردنا بيانه في هذا الفصل ونرجع الى ما نحن بصدده من جمع العقائد الصحيحة فنقول :

فصل

ونعتقد انه تعالى هو الكامل الذي له الكمال المطلق وانه تعالى ارسل محمداً ﷺ بشريعة الاسلام وهي الكتاب المبين والحديث الصحيح . لاجل ان يعمل العباد بما دلا عليه . لا لمجرد التلفظ بهما والتبرك بتلاوتهما واهداء ذلك الى الاموات . او اتخاذهما وسيلة لجمع المال . والعياذ بالله تعالى : فان ذلك من اقبح

البدع. فان الله سبحانه ينهانا في كتابه وعلى لسان رسوله عن اكل اموال الناس بالباطل وهؤلاء لا يحفظون القرآن الا لاجل اصطياد الاموال والاحتيال على الناس ومعلوم ان الآخذ للاجرة على القراءة ومعطيها آثمان. وكان الامل بعلمائنا ان ينكروا هذه البدعة ويحثوا الناس على العمل بالقرآن ويرغبونهم في دراسته وتدريسه للفهم والعمل. ولكن ومع الاسف نراهم على العكس من ذلك فهم اول من يتسابق للحضور في هذه المجتمعات التي يقرؤ فيها القرآن بلاجرة كالتعازي. فانه يدر ان يفوت احدهم الحضور في تعزية. الهم الا ان لا يصلهم خبرها او كان المتوفي فقيراً فلا يرون لزوما للذهاب الى تعزيته وكمجالس الاغنياء لاسيما في شهر رمضان فان قارئ يقرؤ فيها القرآن بالالحان الاعجمية لا يفهم ما يقرأ كانه لم يطلب منه الا التغنيم والعلماء تحضر في مثل هذه المجالس ولا ينكرون هذا المنكر وليتهم سكتوا وأنى لهم ذلك وهم يرغبون في التقرب من صاحب ذلك المحل فتراهم يكيلون له الثناء والمدح على فعله هذا واختياره القارىء

الثلاثي لانه احسن صوتا والذ نغما من غيره والسعيد من اقرأ من يحظى بمدح العلماء. فالى الله وحده المشتكى من هذا الزمان الذي اصبحت فيه البدعة سنة والسنة بدعة وويل كل الويل من الناس وخاصة العلماء. بل انكر عليهم شيئاً من البدع اومرهم بسنة من السنن التي اميتت عليهم عند ذلك تقوم قيامتهم ويرمونه بانه وهابي وانه جاءهم بدين جديد الى غير ذلك من الالقاب الباطلة وحرموا عليه السلام وتقاولوا معه كلام ورموه بكل سوء وبهتان فلا حول ولا قوة الا بالله والمشتكى لا وحده من هذا الزمان واهله

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

ويجب علينا ايضا اعتقاد ان هذا القرآن كلام الله تكلم به حقيقة وصدر عنه ابتداء بكلامه النفسي الذي لا نعلم كيفيته وذلك لان الكلام ينسب الى من قاله مبتدء لا الى من قاله مبلغا وحاكيا كلام غيره. ولا بد من الجزم بان جبريل عليه السلام سمعه من الله تعالى بالصفة التي لا نعلمها سماعا حقيقيا

لفظيا لا بطريق الالهام او الوجدان وبعد ان امر بتبليغه القاه
تدريجيا على النبي ﷺ بان قرأه عليه وسمعه منه ﷺ
بواسطة كلام ملفوظ مسموع من جبريل عليه السلام على ما
دلت عليه الاحاديث الصحيحة. وجميع ما ذكرناه وان كان
من المحكم الذي لا يجوز ان تأتي شريعة بخلافه يجب البحث
عن ادلة ما لم نذكره دليلا لانا لا نجيز تقليدنا في ما ذكرناه
مجردا عن الدليل لان التقليد لا يغني من الحق شيئا فلذلك
نهى علماء السلف والائمة الاربعة المجتهدون عن تقليدهم وتقليد
غيرهم بل يجب على القادر الاجتهاد في جميع امور دينه حتى
يكون على بصيرة ولتصح عبادته بواسطة معرفته بمعبوده لان
العلماء قد اتفقوا على بطلان عبادة من لا يعرف معبوده: هذا
وانا لم نستوعب جميع ما يلزم المكلف من العقائد فلذلك
نقول يجب الايمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله
ﷺ على الاجمال ثم بعد ذلك لا بد وان يبحث عن جميع
ما ورد في الكتاب والسنة من الامور التي يجب عليه اعتقادها

فيؤمن بها بطريق التفصيل ولا يكمل له الايمان حتى يصدقه بالعمل وذلك بعد ان يكفر بجميع الاديان الباطلة والمعبودات الكاذبة والعقائد الفاسدة التى كان قد اعتقدها في سالف عمره ثم يجدد جزمه ويقطع بان لا معبود الا الله الموصوف بالصفات الكاملة التى ذكرنا بعضها ومما يدل على ما ذكرناه من عدم الاكتفاء بالتقليد ما اخرجه البخاري فى كتاب الكسوف فى ضمن الحديث الذى فيه سؤل منكر ونكير من ان الميت يسأل فى قبره عن اسباب العلم بمحمد رسول الله ﷺ اذا اجاب بقوله سمعت الناس يقولون فقلت كما قالوا. يكون جوابه مردودا وغير مقبول. كما يفهم من الحديث المذكور . وقد امر الله نبيه ﷺ واصحابه بقوله تعالى . قولوا آمنا بالله في آيتين من القرآن كما امره بتصديق الله بقوله . قل صدق الله . ولا شك ان ايمانه ﷺ حاصل فلا بد اذا من فائدة لهذه الآيات الآمرة بتكرير لفظ الايمان وتصديق الله فيما اخبر به . وهي زيادة التأكيد وذلك يدل على ان حصول الايمان لا بد له فى حق

غير النبي ﷺ من تحقيق وتوكيد ولا يحصل ذلك الا بعد العلم بمعجزات الرسول ﷺ وتدبر القرآن والاشتغال في والتفكر في خلق السموات والارض والاستدلال به على وحدانية الله وقدرته وعظمته وحكمته وليس ذلك بالامر الهين الذي يحصل بسهولة بل لابد من الجد والاجتهاد وادمان النظر والفكر والاهتمام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ علماً وعملاً. وبغير ذلك لاتحصل سعادة ولا نجاة فعلى من اراد انصاف نفسه ان يحاسبها قبل يوم الحساب. يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم. ويستحضر قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جائني) الآية ومنه يعلم ان التقليد لاحد ايا كان والانتساب اليه من دون اهتداء بالكتاب والسنة لا يسوى ذلك عند الله شيئا وكذلك من احب الصالحين ولم يعمل بعملهم فهو من الخاسرين قال تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم

لبعض عدو الا المتقين) فلا يغتر مسلم بقول من يقول له ان الحق هو ما عليه فلان وفلان من المقلدين فان ذلك حجة داحضة عند الله تعالى فيجب عليه الاعراض عن مثل هولاء الجاهلين والتمسك بهدى المصطفى ﷺ وبذلك يكون من المفلحين . فاللهم رب العالمين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الظالين آمين .

الخاتمة

في النهي عن الراي والتقليد

قال العلامة ابو شامة الشافعي في رسالته المسماة في (المؤمل في الرد الى الامر الاول) المطبوعة ضمن الرسائل المنيرية ج ٣ ص ٢٧ ما نصه : لم يختلف المفسرون فيما وقفت عليه من كتبهم في ان قوله تعالى . فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول . تقديره الى قول الله وقول الرسول فيجب رد جميع ما اختلف فيه الى ذلك فما كان اقرب اليه اعتمد صحته واخذ به اه وقد الف ابن السبكي الشافعي رسالة سماها معنى قول

المطلبي اذا صح الحديث فهو مذهبي . المطبوعة ضمن المجموعة المذكورة ج ٣ ص ٩٨ قال فيها سئلت وفقك الله عن قول امامنا الشافعي (ر ض) اذا صح الحديث فهو مذهبي وهو قول مشهور عنه لم يختلف الناس فى انه قاله. وروى عنه معناه ايضاً بالفاظ مختلفة (نذكرها بحذف السند) قال الشافعي، كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح لحديث النبي ﷺ اولى ولا تقلدوني . واذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ودعوا ما قلت . وروى الشافعي مرة حديثا فقال له رجل يا ابا عبد الله تأخذ بهذا . فقال متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثا صحيحا فلم آخذ به فاشهدكم ان عقلي قد ذهب . قال الحميدي روى الشافعي يوما حديثا فقلت اتأخذ به . فقال رأيتنى خرجت من كنيسة علي زنار حتى اذا سمعت لرسول الله ﷺ حديثا لا اقول به . وقال مرة اي سماء تظلنى واي ارض تقلنى اذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثا فلم اقل به نعم على السمع

والبصرة. وقال كل مسئلة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي (صلعم) عند أهل النقل بخلاف ما قلت فانا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي اه وذكر كثيرا من اقوال الشافعي (رض) في هذا المعنى اكتفينا منها بما نقلناه هنا. وذكر في ص ١٠٥ قول مالك. انما انا بشر اخطئ واصيب فانظروا في راي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافقهما فاتركوه. وقول ابي حنيفة ما جاء عن رسول الله (صلعم) فعلى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة اخترنا وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال اه وقال المزني صاحب الشافعي في اول مختصره (المطبوع في هامش الام) اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى قوله لاقربه على من اراده. مع اعلامي نهيه عن تقليده وتقليد غيره اه وقال الغزالي في كتابه القسطاس المستقيم ص ٧٩ مخاطبا لخصمه بقوله فانت ان اخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل في محمد (صلعم) تقليداً للوالدين والرفقاء لم تتميز عن اليهود والنصارى

والمجوس فانهم كذلك فعلوا اه المراد منه ، وقال فى كنز العلوم ص ٤٨٣ ما نصه كان الامام ابو حنيفة يقول (هذا راي ابى حنيفة وهو احسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا باحسن منه فهو اولى بالصواب) وكان الامام مالك اذا استنبط حكما يقول لاصحابه (انظروا به فانه دين وما من احد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا صاحب هذه الروضة) يعنى رسول الله (صلعم) وقال الامام الشافعي للربيع (يا ابا اسحق لا تقلدنى في كل ما اقول وانظر فى ذلك لنفسك فانه دين) وقال الامام احمد (انظروا في امر دينكم فان التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عمى للبصيرة) اه وقال الشيخ محيي الدين في الفتوحات المكية ج ٢ ص ٢١٣ باب ٨٨ ما نصه التقليد فى دين الله لا يجوز عندنا لا تقليد حي ولا ميت ويتعين على السائل اذا سئل العالم ان يقول له اريد حكم الله او حكم رسوله فى هذه المسألة فان قال له المسؤل هذا حكم الله او حكم رسوله في هذه المسألة تعين عليه الاخذ به . فان المسؤل هنا انما نزل حكم الله ورسوله الذي

امرنا بالاخذ به . فان قال هذا رأي او هذا حكم رأيته او ما عندي فى هذه المسألة حكم منطوق به ولكن القياس يعطى ان يكون الحكم فيه مثل الحكم في المسألة الفلانية المنطوق بحكمها لم يجز للسائل ان ياخذ بقوله . ويبحث عن اهل الذكر وهم اهل القرآن قال تعالى. انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . واهل الحديث فان علم السائل ان هذا صاحب رأي فيتركه ويسال صاحب الحديث فان كان المسؤل صاحب راي وقياس وحديث فيساله فاذا افتاه تعين عليه ان يقول . هذا الحكم عن راي او قياس او عن حديث . فان قال هو عن راي او قياس . تركه . وان قال عن خبر اخذ به . وقال فى موضع آخر واذا وقع خلاف فى شيء وجب رد الحكم فيه الى الكتاب او الخبر النبوي فانه خير واحسن تأويلا . ولا يجوز ان يدان الله بالراي وهو القول بلا برهان ولا حجة لا من كتاب ولا من سنة ولا من اجماع . وقال في موضع آخر . وما اوجب الله علينا الاخذ بقول احد غير رسول الله (صلعم) وقال في

موضع آخر . فان كان المكلف متقلدا وبلغ اليه حديث ضعيف مسند الى رسول الله (صلعم) وقد عارضه قول امام من الائمة او صاحب ولا يعرف دليل ذلك القول فياخذ بالحديث الضعيف ويترك ذلك القول فان قصاراه ان يكون في درجة ذلك القول وان كان ذلك الحديث في نفس الامر ليس بصحيح ولا يعدل عن الحديث. واما اذا صح الحديث وعارضه قول صاحب او امام فلا سبيل الى العدول عن الحديث ويترك قول ذلك الامام والصاحب للخبر الى قوله . ولا يجوز ترك آية او خبر صحيح لقول صاحب او امام. ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالا مبينا وخرج عن دين الله اه. ومن اراد زيادة الاطلاع فليرجع الى كتابه المذكور فاننا لم ننقل كل ما ذكره خشية الاطالة .وقال الشعراني في الميزان ج ١ ص ٢٤ فان قلت فما اصنع بالاحاديث التي صحت بعد موت امامي . ولم ياخذ بها . فالجواب . ينبغي لك ان تعمل بها فان امامك لو ظفر بها وصحت عنده لربما كان امرك بها فان الائمة كلهم احرى في يد الشريعة ، ومن

فعل مثل ذلك فقد حاز الخير في كلتا يديه . ومن قال لا اعمل بحديث الا ان اخذ به امامي. فانه خير كثير كما عليه كثير من المقلدين . وقال في ص ٥٩ منه واعتقاد كل منصف في الامام ابي حنيفة انه لو عاش حتى دونت احاديث الشريعة وبعد رحيل الحفاظ بجمعها من البلاد وظفر بها لاخذ بها وترك كل قياس كان قاسه الى قوله . لكن لما كانت ادلة الشريعة مفرقة في عصره مع التابعين وتابع التابعين في المدائن والقرى . كثر القياس في مذهبه بالنسبة الى غيره من الائمة ضرورة لعدم وجود النص في تلك المسائل التي قاس فيها بخلاف غيره من الأئمة فان الحفاظ كانوا قد رحلوا في طلب الاحاديث من المدائن فهذا سبب كثرة القياس في مذهبه وقلته في مذهب غيره (الى قوله) وقولهم ان امامنا لم يأخذ بهذا الحديث لا ينهض حجة